وعيناها نجلاوان وطفاوان، تخفيان الأسرار ولا تخفيان النزعات، فيهما خطفة الصقر ودعة الحمامة.

وفمها فم الطفل الرضيع لولا ثنايا تخجل العقد النضيد في تناسقٍ وانتظامٍ، ولها ذقن كطرف الكمثرى الصغيرة، واستدارة وجه وبضاضة جسم لا تفترقان عن سمات الطفولة في لمحة الناظر، وبين وجهها النضير وجسمها الغضير جِيدٌ كأنه الحلية الفنية سُبِكَت لتنسجم بينهما وفاقًا لتمام الحُسن من كليهما، فليس هو جِيدًا كأي جِيد، ولكنه الجِيد الذي يوائم بين ذلك الوجه وذلك القوام.

يتخطاها مَن يراها على عجل، ثم يعود مدركًا أنه قد تخطى شيئًا لا يُفَات، فليست من الروعة بحيث تقسرك على التحديق إليها، وليست من سهولة المرأى بحيث ترسلك ناجيًا في سبيلك … قوام بين هذا وذاك، أو طراز آخر غير هذا وذاك.

لو تكفَّل بها مدير معهد من معاهد التجميل الحديث لخفَّف شيئًا من قوامها الرداح بين الربعة والطويل، قبل أن يبرزها في معرض الرقص والرشاقة.

ولو تكفَّل بها قهرمان القصر عند كسرى أو عبد الحميد لما ضاره أن يزيد فيها حيث ينقص زميله الحديث، قبل أن يزفها إلى الشاهنشاه.

حزمة من أعصاب تُسمَّى امرأة.

وهيهات أن تُسمَّى شيئًا غير امرأة.

استغرقتها الأنوثة فليس فيها إلا أنوثة، ولعلها أنثى ونصف أنثى؛ لأنها أكثر من امرأةٍ واحدةٍ في فضائل الجنس وعيوبه، لا لأنها أضعف من امرأةٍ واحدةٍ.

ولقد يُخيَّل إلى الإنسان في أحايين أن يتمم مخلوقًا ببضعة من مخلوقٍ، وأن يسوِّي تكوينًا بتكوين، ويمزج عنصرًا من الأبدان بعنصر، فامرأة يتممها رجل، وآدمي يتممه حيوان، وطلعة فتاة يتممها قوام وأبوة أحرى أن تنتقل إلى أمومة، وأشباه ذلك من أخيلة المزج والتركيب.

أما هذه المخلوقة فلو انتقل عصب منها إلى تكوين ليث غضنفر ليبقى هنالك عصب أنثى بين جميع ما حوله من ألواحٍ وأمشاجٍ، ولو بقي ألف سنة.

ولو أنها تفرقت بين أجسامٍ شتى لكانت فيها خميرة أنوثة يوشك أن تطغى على جميع تلك الأجسام.

شغلتها جواذب الجسد قبل أن تفقه معناها وتسمع باسمها ومسماها، فلما كانت بُنيَّة درَّاجة في المدرسة ذهبت يومًا إلى كرسي الاعتراف تستغفر الكاهن عن مخالفة وصية